غذي يد طفلك إلى الله

تأليف

سميحة أحمد قدومي

معهد التربية العالي للمعلمات
درجة شرف علم النفس جامعة لندن
دبلوم فرديل العالي في التربية

مقدمة

كان الحافز الأول لهذه السلسلة من الأحاديث حلول شهر رمضان ، وتهيئة المصريين لاستقباله بشتى الطرق ، فلاحظت أن هذه التهيئة متجهة إلى البالغين دون سواهم ، ولم أشعر بأن للناشئين نصيباً من هذه العناية ، لا بمناسبة حلول شهر الصوم ولا بأية مناسبة دينية أخرى . فدعانى هذا إلى التأمل : ألا يمكن أن يصيب النشء من رمضان أكثر مما يصيبه من « فرّ الدين » و « المكسرات » ؟ هل من الطبيعى أن يكتفى أطفالنا من المولد النبوى بسرائسه وفرسانه ؟ .

إن أطفالنا يفتقرون إلى توجيه دينى من نوع خاص ، توجيه غير الذى يتضمن تحفيظ الصلاة وتعليم أصول الدين . إننى أحترم هذا الجانب وأترك التوجيه فيه للمختصين من رجال الدين ، فهم خير من يقوم به ، ولكني أشعر أن التوجيه الدينى فى السنوات الأولى من الحياة يتخذ شكلا آخر يتفق وطبيعة الطفل النفسية ونموه العقلى والوجدانى ، يتفق والمهمة الفريدة المنوطة بالأم

فى مراحل التربية الأولى ، يتفق مع جوهر الحياة التى يحياها الطفل حينذاك .

ولعلنى أعبر عن شعور الكثيرين إذا قلت إن إعراض القوم عن الدين فى هذه الأيام يرجع فى كثير من الحالات إلى عزل الدين عن الحياة العملية ، حتى أصبحنا لا نفكر فى الدين إلا فى صلاة الجمعة ، أو وقت الأذان أو ليلة المولد النبوى أو يوم عيد الأضحى ، ولكننا لا نشعر بالدين فى معاملتنا الاجتماعية اليومية ، ولا فى إنجاز أعمالنا العلمية والتجارية والصناعية ؛ ولا أتعرض الآن لتزويج الدين بالحياة الفعلية عند البالغين ، فلقد بدأت تعمل فى هذا السبيل بعض الهيئات، كالإذاعة اللاسلكية المصرية فى أحاديث الصباح الدينية .

إنما أقتصر اليوم على تقديم هذه السلسلة من الأحاديث إلى الوالدين خاصة والمربين عامة ، لكى أبين الدعائم النفسية التى تقوم عليها العاطفة الدينية ، والمواقف اليومية التى تصور الإيمان النابت فى قلب الطفل ، حتى تستطيع الأم أن ترعى هذا النبت

الصالح وتوجهه الوجهة التي تقود إلى الدين الحق : الدين الذي يجعلنا نحترم الحق ونسعى إليه ، الدين الذي يجعلنا نجل الجمال ونسعى إلى ابتكاره ، الدين الذي يملأ قلوبنا حباً للإنسانية ويشحذ عزائمنا لخدمتها ؟

محمد أحمد فرحات

القاهرة في يناير سنة ١٩٥١

الحديث الأول :

ينابيع العاطفة الدينية

لعلك يا سيدتي قد أعددت العدة لاستقبال شهر رمضان ، ولعل صغارك من حولك فرحون مستبشرون ، يتوقون إلى محاكاة الكبار في صومهم ، ولعلك تتساءلين بهذه المناسبة متى يجوز لهم أن يقوموا بفريضة الصوم ، وما الدور الذي ينبغي أن تقومي به أنت ـ بصفتك المربية الأولى ـ لإرشادهم في الأمور الدينية .

ولو تأملنا مليا ، لوجدنا أن الدين ليس مجرد شهادة تتلى ، وآيات قرآنية تحفظ . إنما الدين شعور وعاطفة قبل أن يكون كلاماً وحركات . الدين عقيدة وعمل قبل أن يكون مناسك وتراتيل . الدين عاطفة تنبع من أعماق النفس البشرية ، تنبع من تطلع الإنسان إلى اكتشاف سر وجوده وكنه الكائنات من حوله ، تنبع من تلهفه إلى صدر رحيم يثق به ويطمئن إليه ، تنبع من احتياجه إلى قوى عظيمة تشد أزره وتوجهه في هذه الحياة .

وإذا كان التدين عاطفة، فمعنى ذلك أنه نظام ينمو تدريجياً من تفاعل النفس البشرية مع الحياة المحيطة بها، أى لا تنمو عاطفة التدين بمعزل عن العالم بل تنمو فى الحياة وبالحياة، وتتخذ مظاهر متنوعة فى مراحل النمو المتتابعة، تنمو بنمو الشخصية وتتحلل بانحلالها وتسمو بسموها، فإذا ما بلغت العاطفة الدينية أوج عظمتها، وجدت شخصاً يتفانى فى سبيل الحق أو شخصا يتفانى فى ابتكار كل جميل، أو شخصاً يتفانى في محبة الإنسانية وخدمتها.

فهل نستطيع ياسيدتى أن ننقب عن بذور تلك العاطفة فى نفس الطفل الصغير الذى لم يتجاوز السابعة من العمر؟ أم هل يجب أن ننتظر حتى يتقن التعبير عن أفكاره بالكلام، ويستطيع قراءة القرآن الكريم وتفهمه؟

لاحاجة بنا إلى الانتظار، إذ يمكنك أن تبدئى منذ اللحظة الأولى بعد ولادة طفلك. لا أقول علميه، بل تعلمى منه. لاحظى هذا المخلوق الحبيب إلى نفسك، كيف يتفتح للحياة، كيف ينمو بين يديك من يوم إلى يوم. أنظرى كيف يستجيب إلى

ابتسامتك ، كيف يتعلق بك وأنت ترضعينه ، كيف يستجم راضياً بعد أن استمتع بلبنك وحنانك ، كيف يفرغر ويبقبق فى مهده والشمس تداعب أطرافه ، كيف يقبض على الأشياء ويتفقدها بفمه ، كيف يحاول الزحف فالمشى فالنطق فالكلام .

وهكذا يتوالى نموه بانتظام، آيات بينات تسبح بعظمة الخالق على مر الأيام ، فليس تحت الشمس من يسبح بمعجزة الخالق ببلاغة أروع من تسبيح الطفل البشرى وهو يواصل نموه فى حضانة أمه . فلاحظى طفلك يا سيدتى ليفهم قلبك بالإيمان أولا قبل أن تأخذى على عاتقك تنمية العاطفة الدينية فى طفلك . لاحظيه ليتسنى لك اكتشاف الينابيع النفسية التى تقوم عليها هذه العاطفة .

أنظرى مثلا كيف ينقب فى محتويات المنزل ويختبرها ، يدفعه الشوق إلى المعرفة والرغبة فى الاستقصاء ! أنظرى إليه وقد انطلق فى الحديقة يشق الهواء شقاً ، يشاطر الأشجار توقيعها والأزهار رحيقها والأطيار تغريدها ! يتدحرج على الحشائش آناً ويطارد الفراشة تارة ، ويشكل بالرمل والماء حيناً ، وكل

حركة من حركاته تنبض بنشوة الحياة ، وتنم عن تذوقه لجمال الطبيعة المحيطة به ، وتمتعه بنعم الله على الأرض .

هل أنصت إلى سيل أسئلته المتدفقة عن : « من أين تأتى الأطفال ؟ وأين تذهب الشمس فى المساء وهل يسير القمر معنا ؟ » وغيرها من الأسئلة التى تشير إلى تعجبه بآيات الخالق وإلى تفتح عقله ؟

وإذا استدعى الحال ، أرأيت كيف يهرع إليك يطلب النجدة أو العون أو المواساة وكله ثقة فى عطفك الخالص ورحمتك الواسعة ؟

أما عن فيض محبته وعذوبة رقته فمن أدرى بهما منك ومن غيرك أسعد بهما حظاً ؟ وهل لتفانيك فى تربيته وخدمته عاقبة أجمل من ذلك الحب الصافى الذى يبادلك إياه ، وذلك الحنان النزيه الذى يغمرك به ؟

إذا لاحظت كل هـذا بإخلاص يا سيدتى ، وحاولت أن تنفذى بعقلك وقلبك إلى نفسية الطفل ، لمست الينابيع النفسية التى تمد العاطفة الدينية بالحياة والحيوية ، وأمكنك أن توجهيها الوجهة التى تفيد شخصية الطفل وتفيد المجتمع الذى يعيش فيه .

سوف ترين أن ولع طفلك باستطلاع بيئته هو بذرة البحث العلمى والاستقصاء عن كنه الوجود ، وأن تعجبه أمام المشاهدات اليومية هو أساس تقديره لعجائب الكون . أو ليس تجنيد قوانا العقلية للبحث عن الحق بنزاهة هو السبيل المحقق إلى الله ؟ ألم ينبهنا الله فى كتابه الكريم إلى عجائب السموات والأرض وما بينهما ؟ ألم يحثنا على استقصاء كنهها وتفهم أسرارها لتفعم قلوبنا بالإيمان ؟ فخذي بيد طفلك إلى الله ياسيدتى ، بتشجيع استطلاعه التلقائى ، وإشباع شوقه إلى المعرفة الصحيحة .

سوف ترين فى ابتهاج طفلك بجمال الطبيعة ومرحه بتنسيق الخليقة ، مصدوقاً لتذوق الجمال ولابتكار الجمال فى شتى صوره . أو ليس من يهتز لجمال الخلق ويسعى إلى التعبير عن عواطفه وأفكاره بصور جميلة وأشكال جميلة وأنغام جميلة ، أو ليس هذا المبتكر السليم الذوق قد نهج سبيل الله ؟ أليس الله جميلا يحب الجمال ؟ فخذى بيد طفلك إلى الله ياسيدتى ، بتغذية شعوره بالجمال ، وبتعهد ينبوع الابتكار الجمالى فيه .

سوف ترين أن علاقة الحب التى تربط بينك وبين طفلك ،

وثقته فى رحمتك واعتماده على عطفك وتوجيهك ، هي كلها أساس التعاطف والتراحم بين البشر فى المجتمع الكبير . والتراحم بين الناس يقود إلى التعاون والاتحاد . أليست رسالة الدين الأولى هى رسالة حب ووئام بين البشر ؟ أليس التآزر على الإصلاح هو السبيل المحقق إلى الله ؟ فخذى ياسيدتى بيد طفلك إلى الله برعاية هذا الرباط الحنون الذي يربط قلبيكما ، وتلك الثقة المتبادلة التى توحد أهدافكما ، فتكونين بذلك قد أمددت طفلك بالقالب الذى يصوغ على منواله علاقاته الاجتماعية خارج أسرته ، وأعددته لمواجهة المجتمع الأكبر بالتفاؤل والتسامح والمودة . وإذا توافرت المودة بين الناس كان التعاون بينهم سهلا ميسوراً .

فأنت ياسيدتى المكتشفة الأولى لينابيع العاطفة الدينية فى طفلك ، وأنت الموجهة الأولى لهذه الطاقة المتدفقة ، وإن مهمتك لعظيمة .

الحديث الثالث :

العلم سبيل إلى الله

اعتاد الآباء والأمهات يا سيدتى ، حالما يبلغ الطفل أشده ، أن يوكلوا أمر توجيهه فى النواحى المختلفة ، إلى ما تسمى جهات الاختصاص : فيسلمونه إلى رجال العلم لكى يعلموه الحقائق والفنون ، وإلى رجال الصحة لكى يقووا جسمه ويحموه من الأمراض ، وإلى رجال الدين لكى يغذوا الروح الدينية ويحسنوا توجيهها . والحق يا سيدتى إن هؤلاء المختصين لا يملكون نفعه ، مالم تكن الأم أولا قد أنبتت طفلها نباتاً حسناً فى هذه النواحى ، فالأم هى التى تغرس البذور التى يرعاها فيما بعد هؤلاء المختصون ، والأم هى التى تواصل بذل العناية إلى النبات المترعرع فتشد أزر هؤلاء المختصين وتعينهم فى مهمتهم . ولقد صدق جان جاك روسو إذ قال : « إن الرجال سيكونون دائماً كما يطيب للنساء أن يكونوا ، فإذا أردنا أن يكونوا عظماء وفضلاء فلنعلم النساء ماهية العظمة والفضيلة .

وينطبق هذا بنوع خاص على تمهد الروح الدينية فى الطفل، فإن العاطفة الدينية لا تتكون فى الفصل، ولا تترعرع بالدرس والكلام، بل يعتمد تكوينها على اكتشاف الينابيع النفسية التى تؤسس عليها، وعلى توجيه هذه الينابيع منذ حضانة الطفل، توجيهاً مناسباً لميزات الطفل فى كل طور من أطوار نموه.

وقد تحدثت إليك ياسيدتى فى الحديث الأول من هذه السلسلة عن ثلاثة ينابيع نفسية هامة، تظهر فى مرحلتى الحضانة والطفولة، وتقود الطفل إلى المولى عز وجل، كما لا يستطيع إنسان أن يقوده.

الأول: هو سميه المتحمس إلى اكتشاف هذا العالم الجديد عليه، وتطلعه إلى فهم أسراره.

والثانى: هو ابتهاجه الرقيق بجمال الطبيعة واستمتاعه الخالص بنعم الله.

والثالث: هو إقباله على التعبير عن نفسه بصراحة، وتدفقه حناناً وثقة إلى من يحنو عليه. وقد أشرت كيف يمكن الأم أن تمهد هذه الينابيع فى المراحل الأولى.

واليوم أتناول كيفية توجيهها فى مرحلة الفلومة ، أي بين السنة الثامنة والثانية عشرة من العمر ، طبيعى أن الغلام الذى أصبح ينظم الأشياء بطريقة علمية ، ويقتبس الحقائق منها بطريقة منطقية ، ويستطيع التعبير عن أفكاره بعبارات معقولة ، الغلام الذى أخذ يلعب لعبة رياضية ويفهم قواعدها ، وينتمى إلى جماعة ويخضع لنظامها ، الغلام الذى اكتسب مهارة فى تشكيل الأشياء وحذقا فى تركيب الآلات ، طبيعى أن هذا الغلام يحتاج إلى أن توجه الينابيع الثلاثة السابقة الذكر بطريقة تتفق ومميزات النمو التى يجتازها .

ولأتناول الأساس النفسانى الأول وهو الميل للاطلاع : لن أتحدث عن الطريقة التى يمكن أن تتبع فى تدريس العلوم فى المدارس الابتدائية ، لكى تكون العلوم سبيلا إلى الله ، فكم من فرصة ذهبية يمتلكها مدرس العلوم لكى يغمر قلوب التلاميذ والتلميذات إيمانا بالمولى عز وجل . ولكنى أقتصر على التحدث عن مساهمة الأم فى هذا المضمار .

لقد كنت ياسيدتى تجيبين على أسئلة طفلك المتدفقة ،

وكنت تراقبينه وهو ينظر ويلمس ، وهو يبحث وينقب ، وكنت تتركينه حراً فى بحثه وتنقيبه الأولى المتحمس المتقطع ، ولكن ابنك وبنتك الآن ، وقد بلغا الثامنة أو التاسعة ، يتطوران فى بحثهما . فهما يتعاملان البحث بطريقة منظمة متواصلة ، وهما يدققان النظر فى المشاهدات والنتائج ، ولذا ينبغى ياسيدتى أن توفرى لهما الفرصة لمواصلة البحث والتدقيق داخل المنزل وخارجه . ينبغى أن تشجعى مجهوداتهما العلمية المتواصلة مهما صغرت ، وأن تحترمى اكتشافاتهما وآراءهما ، وأن تشاركيهما التعجب أمام آيات الله ومخلوقاته .

أما داخل المنزل فيمكنك مساعدتهم على تربية الدواجن والحيوانات الأليفة ، وزراعة النباتات العادية والنادره ومشاهدة نموها وتوالدها ، وأما خارج المنزل ، فيمكنك أن تصحبيهم أيام الجمعة أو أيام العيد أو فى عطلة الصيف إلى المزارع المصرية الجميلة ، لكى يشاهدوا الأعمال الزراعية المختلفة فى الفصول المتتابعة ، ولكى يمارسوا فيها مايلائم قدرتهم من أعمال كالحلب وعمل الزبد والجبن والعجين والخبيز ، أو إلى شاطىء البحر لكي تتهيأ لهم الفرصة

والتنقيب عن الحياة المائية ، وملاحظة الجو ، والسماء بسحبها نهاراً وتفقد نجومها ليلا . . . الخ

وقد يتساءل سائل : وما علاقة كل هذا بالدين ؟

للدين علاقة وثيقة بالعلم ، ومن المشاهد أن المجتمع الذي لا يقدر هذه العلاقة حق قدرها يذبل فيه العلم والدين على السواء — فالدين يتضمن عناصر أساسية ثلاثة :

الحق ، والجمال ، والتعاطف والتراحم .

أما العلوم فغايتها الحق . ولا يتجلى الحق إلا بتفاعل الفكر الإنساني مع العالم الطبيعي ومحتوياته . وكلما أتقن الإنسان الطرق العلمية التي يدرس بها العالم ، وكلما أعمل تفكيره ، كشف عن نظام الكون وبدائع الخليقة ، وكلما تعمق في العلم ورسخ فيه ، بهرته عظمة الطبيعة وأخضعه إحكام نظامها ، فيتولاه الخشوع والإجلال — خشوع وإجلال لا يقلان عن خشوع الأنبياء وإجلالهم أمام وجه الله . ومن يقرأ القرآن الكريم ويستوعب بيناته ، يدرك المنزلة السامية التي أنزلها الله أولى العلم ، يقول تعالى : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم » . ويقول :

« وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب » صدق الله العظيم .

وهكذا ترين يا سيدتى أن سبيلا من سبل البشر إلى الله ، أى إلى الحق ، هو العلم . وهو سبيل من سبل أطفالنا إلى الله ، والحق هو العلم ، لا العلم الذى يلقى إلى التلاميذ كلاماً وألفاظاً ، بل العلم الذى يكشفونه بأنفسهم بالبحث العلمى المنظم ، ويتحققون من نتائجه بالخبرة والمشاهدة الدقيقة المتواصلة — العلم الذى يشغف به الطفل منذ فجر حياته ، ويتشربه على يدى أمّ مستنيرة منذ يقظة تفكيره .

وأنت يا سيدتى تستطيعين المساهمة فى هذا المضمار — أى فى تعهد الروح الدينية فى أبنائك ، عن طريق ميلهم إلى البحث والاكتشاف ، كلٌّ وفق السن التى بلغها . ولا تقولى : « إننى لست إخصائية فى العلوم فكيف أوجههم فيها ؟ »

ليس المطلوب أن تكونى إخصائية ، ويكفى أن تكونى مطلعة ، وأن تواصلى ثقافتك العلمية دون انقطاع ، وأهم من هذا هو أن تمدى أبناءك وبناتك بالفرص المواتية للبحث العلمى والتفكير ،

وأن تزوديهم بالمجلات العلمية ، وأن تشجعي مجهوداتهم ، وأن تحترمي آراءهم ، وأن تشاركيهم تعجبهم وخشوعهم أمام أسرار الطبيعة ، واتركي الباقي لذكائهم النامي وحيويتهم المتدفقة ، والعلوم متشعبة الفروع كما تعلمين : فمنها ما يختص بالإنسان والحيوان والنبات ، ومنها ما يتناول طبقات الأرض ومعادنها ، ومنها ما يسبح في فلكها شمسها وقمرها ونجومها ، إلى غير ذلك مما نعلم ومالا نعلم ، ولكن جميعها تكشف النقاب عن تنسيق محكم ونظام عجيب ، وحكمة بالغة ، ومنافع جمة ، وكلها تؤدي إلى الحق — إلى الله .

الحديث الثالث :

الجمال سبيل الى الله

ذكرت فى الحديث الأول يا سيدتى ، أن العاطفة الدينية تقوم على ثلاثة عناصر أساسية : الحق ، والجمال ، والتراحم . وقلت : إن من يحسن ملاحظة الأطفال الصغار ، يكشف عن ينابيع هذه المبادىء الثلاثة فى نفوسهم . واقترحت كيفية تعهدها بالتنمية والتوجيه خلال مرحلة الحضانة والطفولة .

وتناولت فى الحديث الثانى كيف تتعهد الأم الروح الدينية فى طفلها بين الثامنة والثانية عشرة من العمر . وخصصت بالذكر ميل البنت والولد فى هذه المرحلة إلى البحث العلمى المنظم ، وكيف يمكن الأم أن تشجع تطلعهما إلى معرفة الحقائق ، ولماذا يجدر بها أن تفعل ذلك

واليوم أتناول أساساً من أسس العاطفة الدينية ، وهو الجمال ولنتأمل معاً يا سيدتى كيف يمكن أن تغذى النزعة الجمالية

فى البنت والولد بين الثامنة والثانية عشرة من العمر . وكيف يمكن أن يكون هذا الشعور دعامة من دعائم الدين الصحيح .

لاحظت ياسيدتى كيف كان طفلك الصغير مرهف الحس بجمال الطبيعة ؛ كيف كان يهيم على وجهه بين أحضانها إذا تركته حرا طليقاً ، وكيف كان يعبر عن نشوته بالغناء والرقص والقفز والجرى ووابل من النشاط الحر المتدفق .

أما وقد بلغ ابنك وابنتك الثامنة أو التاسعة ، فلقد تركزت نشوتهما بالطبيعة وتجددت . فإذا ذهبا إلى الحديقة فلكى يلعبا لعبة معينة مع الأقران ، وإذا رحلا إلى الصحراء فلكى يتسلقا الهرم ، أو يكشفا مقابر القدماء ، أو يجمعا الأحجار النادرة — وإذا سافرا إلى المزارع المصرية الجميلة فلكى يرحا بحمار «حصاوه» أو يسوقا « النورج » فى ضوء القمر — وإذا حظيا بالمثول بين يدى البحر فلكى يسبحا فى لجاجه ويصطادا أسماكه ويتفقدا قواقعه وأحياءه — وإذا انطلقا إلى جبل المقطم أو جبل عتاقة ، فلكي يتسلقا قمته ويقتحما عقباته ، أى إن البنت والولد يخرجان إلى الطبيعة فى عهد الفلومة لكى يقوما بعمل معين يحتاج إلى

مهارة معينة . ولكن ليس معنى ذلك أنهما لا يشعران بجمال الطبيعة : فهما يشعران بجمال الحدائق ، وهما ينطلقان فى أرجائها . ويستوعبان جمال الصحراء وهما ينقبان عن أسرارها ، ويتذوقان عذوبة الريف وهما يمارسان أعماله ويداعبان حيوانه ، ويستجيبان لعظمة البحر وهما يسبحان فى لجاجه ، ويهتفان لجلال الجبل وهما يقتحمان سفوحه .

وهكذا إذا اقترحت يا سيدتى أن تأخذى أولادك إلى الحدائق والصحراء والريف والبحر والجبل ، فلا تأخذيهم لكى تلقى آذانهم حديثاً عن جمالها ، فالكلام لا يجدى فى هذه المواقف ، بل قد يشوه رونقها ويمسخ جمالها ، ولكن خذيهم إلى الطبيعة ، ودعيهم أحراراً يمارسون النشاط اللائق بسنهم ، ودعى جمال المخلوقات يتسرب عن هذا الطريق إلى نفوسهم ، وروعة الكون تتغلغل فى قلوبهم ، فتملأ هذه القلوب الناشئة إيماناً بالله الذى خلق الجمال وهو يحب الجمال .

ولا يقتصر الجمال على الطبيعة ، فهناك أوجه جمالية أخرى تهتم الأم الحساسة ذات الذوق الرفيع على توفيرها لبناتها

وأبنائها ، لدى الإنسان تراث رائع من الأدب والشعر والتصوير والنحت والموسيقى والرقص ، يمكن أن نختار منها ما يناسب المرحلة التى نحن بصددها اليوم ، أى بين الثامنة والثانية عشرة ، وما يناسب الحياة المنزلية بنوع خاص .

فبعد أن يكون ابنك أو ابنتك ياسيدتي ، قد قضى اليوم المدرسى يقدح زناد الفكر ، وبعد أن يكون قد تمتع بالرياضة فى ناديكم ، يمكن أن تجلسى معه فى دعة وهدوء إلى قطعة موسيقية جميلة (مثل مقطوعة لبتهوفن تسمى « Pastorale » على سبيل المثال) فيتذوق الولد والبنت جمالها ، ويوقظ في نفسيهما ذلك الوجدان الرائع الذى ألهم النابغة الخالد ، وعليك يا سيدتى تقع مهمة اختيار القطع الموسيقية الجميلة ـ السليمة الذوق التى تجعل النفس تسمو إلى الله .

كذلك تستطيعين يا سيدتى أن تقصى على أبنائك وبناتك قصة حياة الرسل والأنبياء ، أو تقرئيها عليهم من مصادر موثوق بها ، سلسة اللغة سهلة التعبير كقصة حياة محمد عليه الصلاة والسلام ، وقصة حياة عيسى عليه السلام . وهذه فوق أنها فرصة يتذوقون فيها جمال سيرة الرسل والأنبياء ، هى أيضاً فرصة لكي تغرس

فى نفوس النشء توافق الأديان واتحاد أهدافها ، وأن الله سبحانه وتعالى أوصى بإجلال الرسل والأنبياء جميعاً . ولا يتفق مع الروح الدينية العالية أن نعلم الناشئين فى الأسر تعليما دينياً زائفاً . فتعليمهم احترام دينهم على حساب دين الغير ، فلا يتفق وروح الإسلام العالية أن نعلم الطفل المسلم وهو لا يزال غضاً أن يحتقر الطفل المسيحى . كما لا يتفق وروح المسيحية السمحاء ان نعلم الطفل المسيحى ان يحذر من الطفل المسلم . وهكذا نسبب حزازات بين التلاميذ ، تعرقل نموهم الخلقى وسلامة تفكيرهم ، وتقود أبناء الأمة الواحدة إلى التفرقة والتشاحن — والأجدر بنا ياسيدتى — نحن الأمهات المصريات ، سواء أكنا مسلمات أم مسيحيات ، أن نعمل على تدعيم روح الألفة والاتحاد بين أفراد الشعب المصرى . فالاتحاد من الإيمان . يقول الله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا واذكروا نعمةَ الله عليكُمْ إذ كُنْتم أعداءً فألّفَ بينَ قُلوبِكُمْ فأصبَحْتمْ بنعْمَتهِ إخْوَاناً » صدق الله العظيم .

وهكذا ياسيدتى ترين أن الاستمتاع بالجمال المنبعث من الطبيعة على النحو الذى أسلفناه لهذه المرحلة ، وتذوق الجمال الأدبي

والفنى المتجلى فى ابتكارات النفس البشرية الملهمة كما أوردنا ، يملأ قلوب الناشئة إيماناً بالله الذى خلق فأبدع ، وألهم النفس البشرية فخلقت فى سماء الفن الرفيع .

وجنباً إلى جنب مع ما تقدم ، ينبغى أن تنظمى يا سيدتى لأبنائك وبناتك فرصاً كثيرة للتعبير عما يختلج فى فؤادهم من وجدانات ، وما يتفتح فى نفوسهم من رغبات وأمانى وعواطف . ويكون هذا التعبير بمختلف الطرق : فبالصلصال تارة وبالموسيقى تارة أخرى ، بالتلوين مرة وبالكتابة أو الكلام أو التمثيل مرة أخرى ، بتنسيق حوض زرع فى الحديقة طوراً وبالحركات التوقيعية تارة .

وليكن البنات والبنون أحراراً فى اختيار المادة التى يعبرون بها عن وجدانهم ، أحراراً فى طريقة تعبيرهم . ولنسمح لهم بالوقت الكافى للاسترسال فى الخلق والابتكار ، ولنقتنص الفرص السانحة لذلك ولنتجنب إجبارهم ، والفرص السانحة كثيرة تختلف من طفل إلى طفل ، وفقاً لما يثير وجدانه ويستفز مشاعره ، فمنهم من يحب أن يقص على والدته روعة الرحلة التى قام بها مع مدرسته ، أو عن وقع أول درس فى كرة القدم . فلتنصت إليه

الأم ولتشاركه شعوره . ومنهم من يولع بترتيب الأحجار التى لقطها من الصحراء ، أو تنظيم الأصداف التى انتقاها على الشاطىء ويود أن يصنع لها مكاناً يصونها . فلتمده الأم بالمواد اللازمة ، ومنهم من يعبر بالرسم والتلوين عن رغبات وأفكار ومشاكل يعجز لسانهم الصغير عن وصفها بالكلام .

فلاحظى طفلك ياسيدتى ، لتهتدى إلى وسيلته المحبوبة للتعبير عن وجدانه وعواطفه وأفكاره ، ولابتكار شىء جميل بالمواد المختلفة .

وأكاد أسمعك تقولين : وهل تعتبر أشغال الأطفال ابتكارات فنية ذات قيمة وجمال ؟ وما علاقة هذا بتعهد الروح الدينية فيهم ؟

أجيب على السؤال الأول باختصار : كانت منتجات الأطفال وتعبيراتهم لا تسترعى انتباه المربين إلى عهد قريب ، ثم تبدل الحال لما توافر على دراستها دراسة جدية علماء النفس والمربون والفنانون ، فاكتشفوا أنها مرآة لشخصية الطفل النامية برغباتها وأفكارها ومشاكلها ، إذ يجد الطفل أن التمثيل والرقص والتلوين والرسم والبناء والتشكيل أيسر منالا للتعبير عن نفسه

من الكتابة والكلام . وفضلا عن قيمتها العلمية قد تذوق الفنانون من منتجات الأطفال الفنية جمالا خاصاً بها ـ جمال البراءة والصراحة ، جمال الصدق والإخلاص فى التعبير عما يخالج النفس البشرية الناشئة .

أما عن علاقة ابتكارات الطفل الفنية بتعهد الروح الدينية فيه فأقول : إننا فى مجتمعنا هذا نبحث عن الله فى كل شىء إلا فى أنفسنا ، ولعل الله سبحانه وتعالى لم يركز سر الوجود فى شىء أكثر مما ركزه فى النفس البشرية الفنية الأعماق — إن تعبيرات الطفل ومنتجاته الفنية تقوده إلى تعرف نفسه تدريجياً ، يتعرف قدراته فيثق بنفسه ، ويتعرف حدوده فيعمل على أن يتقدم ، ويتعرف مشاكله فتوجهه أمه نحو حلها ، ويتعرف أمانيه فترشده أمه إلى ما يمكن أن يثابر على تحقيقه ومالا يمكن منها ، فتوضيح أمانينا وآمالنا بيننا وبين أنفسنا بالإنتاج الفنى ، وبيننا وبين الله فى الصلاة ، أولى خطوات العمل المجدى لتحقيقها ، يقول تعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) صدق الله العظيم .

الحديث السابع :

كيف نرعى التراحم والتآخى فى النشء

بدأت ياسيدتى أتحدث إليك عن كيفية تعهد الروح الدينية فى الناشئين ، وذكرت أنى أقصد بالروح الدينية تلك العاطفة التى تتكون تدريجياً فى نفوسنا ، وتجعلنا نشعر بعظمة نظام الكون ، ونهتز لجمال الطبيعة ونتذوق نعم الله ، ونقف خشوعاً وإجلالا أمام أسرار الوجود ونفيض رحمة وإحساناً على غيرنا من مخلوقات الله . هذه ياسيدتى هى الروح الدينية التى نود تعهدها فى أطفالنا . ثم أشرت إلى أن أصول هذه العاطفة موجودة فى النفس البشرية ، وأنها تتجلى منذ الطفولة الأولى فى صور شتى : في نزعة الطفل الفطرية إلى استطلاع أسرار هذا العالم والبحث عن طبيعة الأشياء ، فى ابتهاجه بجمال الطبيعة وتعبيره عن هذا الجمال بمختلف أنواع النشاط الابتكارى ، فى حبه البرىء لمن يحنو عليه ونزاهته فى التعبير عن شعوره . وتناولت بعد ذلك كيف يتسنى لك ياسيدتى أن توجهى نزعة طفلك إلى اكتشاف

أسرار العالم ، وتهيئ له الفرص للبحث عن طبيعة الأشياء ، وكيف يمكنه أن يصل إلى الله عن طريق الحق . إذ أن الحق هو الله . وأخيراً عالجت قدرة الطفل على تذوق جمال الطبيعة والفنون ، وقدرته على إنتاج الجمال ، وكيف يمكنك أن ترشديه إلى تنمية هذه القدرات حتى يشعر بوجود الله فى كل ما هو جميل .

واليوم أتناول الدعامة الثالثة للعاطفة الدينية : أى التراحم والتعاطف . ولعلك تتساءلين يا سيدتى ما الذى أقصده بالتراحم والتعاطف . أقصد ذلك الشعور الذى يجعل الإنسان يأنس إلى أخيه الإنسان ، ويحب له ما يحبه لنفسه ، ويسعى إلى خدمته كما يسعى إلى خدمة نفسه ، ويتعاون معه فيما يؤدى إلى خير المجتمع الإنسانى . أقصد ذلك الشعور الذى يدفعنا إلى الشفقة على الضعيف ، وإغاثة الملهوف ، ومواساة المكروب . أقصد الشعور الذى يدعونا إلى المغفرة والتفاهم والإحسان . يقول تعالى : ﴿ سارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ من ربِّكم وجنَّةٍ عرْضُها السَّمٰواتُ والأرْض أُعِدَّتْ للمُتَّقِينَ الَّذِين يُنْفِقون فى السرَّاءِ والضرَّاءِ والكاظِمِينَ الغَيْظَ والعافِينَ عنِ الناسِ واللهُ يحِبُّ المحسِنِينَ ﴾ ويقول : ﴿ ولو

كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) ويقول : (وبالوَالدَيْنِ إحساناً وبذِى القُرْبي واليَتامى والمسَاكِينَ والجارِ ذِى القرْبى والجَارِ الجُنُب والصاحب بالجنْبِ وابنَ السَّبيل) صدق الله العظيم .

هذه بعض من آيات القرآن ، يرشدنا الله فيها إلى التنحى عن القسوة وإلى تعمير قلوبنا بالمحبة والرحمة والإحسان والعفو لإزاء الوالدين وذوى القربى فحسب ، بل نحو كل من يمت إلينا بصلة اجتماعية بعيدة كانت أو قريبة ، ونحو المحتاجين إلى الرحمة والإحسان كاليتامى والمساكين . وها هو ذا الإنجيل يضع محبة الإنسان لأخيه الإنسان من الأسس الأولى للدين المسيحى بعد عبادة الله ، وما من كتاب سماوى إلا وجعل الإيمان بالله موقوفاً على محبة الإنسانية والسعى لما فيه خيرها .

وليست التعاليم السماوية بمثابة قوانين فرضت علينا اعتباطاً بل هى توكيد وتوجيه لما هو موجود بالفطرة فى نفوسنا من نزعات وميول ، ولعلك لاحظت طفلك بعناية ياسيدتى ، واغتبطت بحبه المتدفق وحنانه الرقيق استجابة لحبك وحنانك . هذا الحب

المشرق من نفس الطفل الطبيعى السليم على من يوليه العطف والحنان ، هذه النزعة الفطرية إلى أن يحب غيره ويشعر أنه محبوب هى أساس عاطفة التراحم والتآخى بين البالغين . فإذا حرصنا نحن الأمهات على تعهد هذه النزعة الفطرية فى الطفل ، وعلى تنميتها وتوجيهها الوجهة الاجتماعية الإنسانية المثمرة ، ضمنا وضمن المجتمع البشرى معنا أن يسود التفاهم والمودة والإحسان بين أفراد المجتمع .

وإذا كنا مخلصين فى دعوانا هذه ، فيجدر بنا أن نتساءل : كيف نعنى بهذه النزعة الفطرية فى أطفالنا ؟ وما هى الطريقة العملية التى ينبغى أن نتبعها لكى يتحقق هدفنا ، أى لكى يسود الود والتفاهم والسلام بين أفراد المجتمع ؟

ولا توجد طريقة فريدة نفرضها على كل أم ، ولكن توجد مبادىء عامة أساسية تسترشد بها الأم فى تأدية مهمتها ، وتكيفها وفقاً لشخصيتها وظروفها . من هـذه المبادىء أذكر فى هذا الحديث ما هو خاص بمساهمة الأسرة فى تكوين عاطفة التراحم فى الناشئين :

أولا : ينبغى أن يتمتع الطفل فى أسرته بحب هادىء ثابت مستنير .

هادى : أى لا تشوبه الانفعالات القوية المزعجة . ثابت : أى لا يكون الحب عرضة للتقلب والتناقض فيعامل الطفل تارة بحنان وتارة بقسوة أو يحرم من الحنان فجأة فى فترة من فترات حياته : ومستنيرة : أى لا يكون حب الوالدين خانقاً لميل الطفل إلى النمو والاستقلال . فالطفل الذى يترعرع بين أحضان هذا النوع من الحب ، يفيض هو بدوره حباً وحناناً على ذويه ثم على من يحيطون به فى البيئات المختلفة بعد ذلك . فالحب يا سيدتى علاقة متبادلة بين نفسين أو أكثر ، يوقظ الحب فى الطفل شعوره بأنه محبوب ، كما يوقظ النبات فى البذرة استجابةُ البذرة لمفعول التربية التى تزرع فيها

ثانياً : كل أم طبيعية تفهم ما سبق وتقدره . ولكن هناك حاجة أساسية فى نفس الطفل لا نعيرها اهتماماً كافياً فى أسرنا هى احتياج الطفل إلى الشعور بالأمن والاطمئنان . ولعلك

تقولين ياسيدتى : ماذا عسى الطفل أن يتطلع إلى الاطمئنان وهو مكفول فى الأسرة : أبوه قوام على حاجاته وأمه ساهرة على راحته وباله خال من هموم الكبار ومتاعبهم .

ليس الكبار ياسيدتى هم وحدهم الذين ينفردون بمواجهة المشاكل . فللطفل مشاكله أيضاً . مهما صغرت فى نظرنا فهى فى نظره مهام ذات شأن : فعليه أن يتعرف على هذا العالم الجديد المحيط به وأن يتكيف له ويطمئن إليه ، وعليه أن ينمو ويعبر عن قدراته وشخصيته حتى يثق بقدرته ويطمئن إلى نفسه ، وعليه أن يتعرف على هؤلاء العمالقة الذين نسميهم « الكبار » وأن يتفقد عاداتهم ومبادئهم ومجتمعهم وأن يطمئن إلى مركزه بينهم فينبغى أن تهيء له الفرص لكى يؤدى هذه المهام الثلاث بحرية حكيمة . فتنظمى له الفرصة لكى يبحث وينقب فى الطبيعة ، ولكى يلعب مختلف الألعاب فيختبر قدراته وينمى شخصيته ، ولكى يتعامل مع الكبار والصغار فى مواقف اجتماعية متنوعة على أساس الثقة المتبادلة والاحترام المتبادل . هكذا يطمئن الطفل

إلى الطبيعة وإلى نفسه وإلى المجتمع . والطفل المطمئن الواثق من نفسه مربية لا يمكن أن ينبعث منه إلا المحبة والرحمة والإحسان .

ثالثا : ينبغى أن تتاح للطفل فرصة لكى يتدرب على التعامل الاجتماعى فى الأسرة أولا ، حيث أن بذور العلاقات الاجتماعية الطيبة أى : التآخى والتعاون واحترام شخصية الفرد ، تغرس أول ما تغرس فى الأسرة خلال السنوات الخمس الأولى من حياة الصغار . ولا تزال تنمو وتترعرع فى الجو العائلى حتى يذهب الطفل إلى المدرسة ، فتواصل نموها إذا ما وجـــــدت التشجيع والتوجيه الملائم من المدرسين ، ثم تزدهر فى الجامعة أو النادي أو النقابة تحت الظروف الملائمة حتى تصل إلى نضجها فى الحياة النيابية الوطنية ثم فى الهيئات النيابية الدولية . وقد يبدو يا سيدتى أن البون شاسع بين الحياة الاجتماعية العائلية وبين الحياة الاجتماعية النيابية . ومع ذلك فأساس العلاقات واحد فى المجتمعين ، أساسه التوازن بين الأخذ والعطاء ، بين حقوق الأفراد وواجباتهم ، بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموعة .

ولنتناول أولا مجتمع الأسرة . ففيه نوعان من العلاقات : علاقات غير متكافئة وأخرى متكافئة . أما الأولى فتوجد بين الوالدين والطفل . وعدم التكافؤ ظاهر بين الفريقين فالمربى بالغ ناضج والطفل ناشىء غض ، المربى يوجه ويصبر ، والطفل يجد ويحاول ، المربى يغضب والطفل يخاف . ولكن توجد علاقة ينبغى أن تكون متبادلة متساوية بين الوالدين والطفل إذا رغبنا فى أن نضع أساساً سليما لعلاقات الطفل الاجتماعية المستقبلة : وهى علاقة الاحترام المتبادلة بين الوالدين والطفل علاقة التقدير المتبادل بينهما على الرغم من عدم التكافؤ بين الفريقين . تحدثت فيما سبق عن الحب المتبادل بين الوالدين والطفل ، والآن أذكر عاملا متميزاً هو الاحترام المتبادل بين الوالدين والطفل . وأؤكد هذه النقطة لأننا اعتدنا أن نطالب الاحترام من الأبناء نحو والديهم وهذا حيوى . ولكننا لم ندرك ضرورة احترام الوالدين للطفل ولا أهمية ذلك فى تدعيم احترام الطفل لغيره من النفوس البشرية . فالطفل يحترم شخصية والديه المتكاملة ، ويذعن لما

تثيره فى نفسه من الإجلال وما توقظه فى ضميره من الإلهام . والوالدان الحكيمان يحترمان شخصية الطفل المتفتحة ويتطلعان إلى ازدهار ما يكمن فيها من قـــدرات ومواهب تسبح بعظمة الخالق . فإذا حظى الطفل ـ فضلا عن حب والديه ـ باحترامهما وتقديرهما له ، وإذا أحس بهذا الاحترام وذاك التقدير فى معاملتهما له وكلامهما معه ، كان لذلك أطيب الأثر فى علاقاته الاجتماعية المستقبلة خارج الأسرة ، إذا ما وجـد فى موقف يخول له من السلطة والنفوذ ما كان لوالديه عليه فى الأسرة . فى مثل هـذا الموقف يعيد الطفل نفس الجو الذى كان يسود علاقاته بوالديه : جو تفاهم وتسامح وتقـدير ، أو جو تشاحن وعناد وضغينة . إذ لا يمكن أن يحترم غيره من الأفراد ، إلا من كان يؤمن بقيمة النفس البشرية ، ولا يؤمن بقيمة النفس البشرية ، إلا من حظى باحترام شخصيته منذ نشأته الأولى.

رابعاً : وأخيراً مما يؤدى إلى تكوين عاطفة التراحم فى نفس الطفل أن يجـد من والديه مثالا حياً مفصحاً عن معنى التراحم فى أسمى معانيه سواء فى معاملتهما الواحد للآخر أو فى

معاملة الآخرين أى إذا لمس معنى التفاهم والتسامح والاحترام والتقدير فى علاقة الوالدين . وإذا لمس معنى الرحمة والإحسان والتقدير فى معاملتهما للغير كالأقارب والأصدقاء والجيران والخدم .

هذا هو الأساس الذى تضعينه أنت يا سيدتى فى نفس الطفل . ولعلك تشعرين بخطورة مهمتك وعظمتها عندما تعلمين أن كل من يساهم بعد ذلك فى تنمية عاطفة التراحم والتآخى والتعاون فى طفلك ، إنما ينمى النبات الذى تعهدته أنت منذ نشأته الأولى .

الحديث الخامس :

حب الانسانيـــة

العماد الأول للتربيـــــة الدينية

لو أن شخصاً شرع يصف لنا الهواء الذى نتنفسه فى كل لحظة ، لتمنينا أن يوفر مجهوده . فمن منا لا يعرف الهواء ؟! هكذا أشعر اليوم يا سيدتى وأنا أحدثك عن عاطفة الحب . فمن منا لم يشعر بالحب ؟! وهل تستطيع أن نحيا بدونه ؟

ولكن كما أننا نغفل قيمة الهواء فى حياتنا اليومية ، ولا يشتد وعينا به إلا إذا هب حاراً لافحاً أو صفر بارداً قارصاً ، كذلك نحن نغفل قيمة الحب في حياتنا اليوميـة ، ولا يشتد وعينا به إلا إذا تجلى فى صورة رائعة كحب مصطفى كامل لبلاده ، أو حب سيدنا عيسى للانسانية ، أو إذا مرض واعتل فانقلب بغضاً مهلكا كبغض « نيرون » الذى أحرق روما ووقف يستسيغ هـذه المأساة . ومن مظاهر عدم اكتراثنا بعاطفة الحب أنك تسمعين

الناس من حولك يا سيدتى يدعون الله فماذا يتمنون ؟ الأغلبية العظمى تتمنى المال ، ويفضل نفر قليل نعمة الصحة ، وقلما تسمعين من يتمنى حياة ينيرها الحب : الحب يفدقه على الناس ويحظى به من الناس . هل قابلت أما تعلم طفلها الصغير أن يقول: ربى عمر قلبى بالحب لبنى البشر ، واجعلنى موضع حبهم ورعايتهم؟

لذلك أحدثك عن عاطفة الحب اليوم أحدثك عن الحب كالمهاد الأول للتربية الدينية السليمة سمه ما شئت . حب الله ، حب الخير ، حب الإنسانية . فأساسه ، كما أشرت فيما سبق من أحاديث هذه السلسلة ، أساسه نزعة الحب التى تبزغ فى نفس الطفل الصغير ، وينبعث نورها على من يرعى تربيته الأولى فى رفق وعلم ، فيشيع الحنان المتبادل فى الأسرة بأجلى مظاهره وأجلها . وليس الحنان هو مظهره الوحيد ، وإنما أود أن أؤكد مظهرين آخرين للحب وهما : الاحترام المتبادل والتعاون لمصلحة المجموعة التى يربطها الحب . فالحب مهما تعددت صوره تبادل فى الحنان والاحترام والتعاون للمصلحة العامة . ينشأ ويترعرع في الأسرة بين الولدين وأطفالهما ، وتمتد فروعه إلى المدرسة والنوادى ،

وتظهر ثماره فى المجتمع والحياة العملية . كذلك أشرت إلى العوامل التى ينبغى أن تتوفر فى بيئة الطفل الأولى ، أى فى أسرته ، لكى يستطيع أن يحب الناس ويحترمهم ويتعاون معهم فى المجتمع . وبينت عمق الأثر الذى تتركه إحداث هذه السنوات الأولى فى صوغ علاقاته الاجتماعية فيما بعد .

ولنتامل الآن فى كيف تنمى علاقات الطفل الودية التعاونية عند ما يخرج من نطاق الأسرة ، ويصبح عضواً فى مجتمعات مختلفة كالمدرسة والكلية والنادى ومضمار العمل . وكيف يمكنك أنت ياسيدتى كأم أو مربية ، أن تساهمى فى هذا التوجيه . وكيف يكون تكوين عاطفة حب الإنسانية واحترام أفرادها والتعاون معهم لمصلحة المجتمع ، أساس التربية الدينية الحقة .

يبدأ الطفل احتكاكه بالمجتمع الأكبر عن طريق المدرسة . يقابل هناك أقراناً من سنه ، فيحاول التعرف عليهم والاندماج معهم فى شتى أنواع النشاط . ويجد فى المدرسين والمدرسات مصدراً للتوجيه والإرشاد ، يكمل توجيه الوالدين من جهة ، ويختلف عنه من جهة أخرى . وعلى هيئة التدريس تقع مهمة

تنظيم الحياة المدرسية بحيث لا تنمى تفكير التلاميذ فحسب بل تعطى لهم أيضاً فرصاً متنوعة للنشاط الاجتماعى على أساس من الود والاحترام والتعاون لمصلحة المدرسة . فكيف يمكنك أنت ياسيدتى أن تتعاونى مع المدرسة على تنشئة أطفالك على تبادل المودة والاحترام والتعاون مع زملائهم ومدرسيهم بالمدرسة ؟

إن دورك جليل ياسيدتى . ولا أبالغ إذا قلت أنك أنت التى زودت إبنك وبنتك برأس المال المعنوى الذى سوف يستثمره فى المدرسة . إن الحب الذي حظى به إبنك فى كنف والديه ، والاطمئنان الذى وفرته له فى حياته المنزلية ، والاحترام الذى بذلته فى معاملتك ، والتعاون الذى ساد علاقاته بإعطاء الأسرة . كل هذا سوف ينقله طفلك من البيئة المنزلية إلى البيئة المدرسية . سوف ينقل حبه لوالديه إلى مدرسيه وأقرانه . سوف ينشر الاطمئنان الذى عمر قلبه إلى جو الفصل والمدرسة . سوف يواصل التعاون الذى مارسه فى أسرته فى نشاطه التعليمى والرياضى .

ولا تظنى ياسيدتى أنك أمددت طفلك برأس المال فحسب .

أنك لا تزالين وهو فى المدرسة عاملا حيوياً فى توجيه علاقاته الاجتماعية بالتعاون مع المدرسة . فأنت تعلمين مثلا أن إبنك أو بنتك يتوق إلى الاجتماع بزملائه والاشتراك معهم فى شتى أنواع النشاط ، وأن المدرسة الحديثة ترضى هذه النزعة بشتى الطرق . وتستطيعين أنت أيضاً المساهمة فى إرضائهم بتنظيم حفلات منزلية صغيرة لأولادك ، بمناسبة أعياد الميلاد أو الأعياد القومية ، يدعون فيها بعض زملائهم من المدرسة ، وينظمون تحت رعايتك أنواع النشاط التى يقضون بها وقتاً طيباً . ويمكن أن تكون هذه الحفلات فى المنزل مرة وفى النادى أخرى وعلى هيئة رحلة مشوقة تارة . وتتناوب الأسر فى إقامتها . وبذلك تتوطد أواصر المودة بين التلاميذ ، ويتسع أفقهم ، ويتعلمون كيف يكيفون أنفسهم لبيئات متنوعة ، وكيف يكونون ضيوفاً ومضيفين ، هذه هي الفرص التي يتعلم فيها أبناؤنا وبناتنا آداب المعاملة ، وكيفية التحدث ، واللياقة والكياسة ، هذه الصفات الحيوية فى تربية أبنائنا التى لا يمكن أن يتعلموها عن طريق الدروس والوعظ .

كذلك يمكنك أن تلبي دعوة المدارس النموذجية إلى الاشتراك في إحياء يوم الآباء والأمهات بالمدرسة لتدعيم التفاهم والتعاون بين المنزل والمدرسة ، وبذلك تغرس بذور الوحدة الاجتماعية القومية التي نئن من ضعفها في مجتمعنا الحالي .

ويا حبذا لو أمكن الأسرة الاشتراك في نادٍ رياضي اجتماعي حتى يستطيع البنون والبنات ممارسة الألعاب الرياضية خارج المدرسة مع أصدقائهم تحت رعاية والديهم ، وحتى يجدوا خارج المدرسة مجتمعاً أوسع من مجتمع الأسرة يرضون فيه نزعتهم الاجتماعية . فيؤدون بعض الخدمات ويتمتعون ببعض الحقوق ويشعرون أنهم جميعاً يتعاونون لإعلاء شأن ناديهم ، فالتدرج من مجتمع الأسرة إلى مجتمع المدرسة إلى مجتمع النادي ، يعطي البنت والولد فرصة لممارسة النظم التي تقوم عليها المجتمعات ، فرصة لفهم معنى الحقوق والواجبات ، فرصة لتحقيق الأخذ والعطاء فرصة لتكوين الأصدقاء وتمحيص المشاريع الاجتماعية والاهتداء إلى المثل العليا للفرد وللجماعة .

هذا ينطبق بنوع خاص يا سيدتي على أبنائك وبناتك في

طور المراهقة والبلوغ . إذا تزدهر حيويتهم وينضج تفكيرهم ، ويتطلعون إلى الاعتماد على أنفسهم ، وتياجج حماسهم نحو الخدمات الاجتماعية الانسانية ، ويولعون بالتأمل من موضوعات حيوية كالدين والسياسة والنظم الاجتماعية والتقاليد السائدة ، ويصبحون قادرين على النقاش العلمى والتدليل المنطق ، ويأبون أن تفرض عليهم العقائد فرضاً . فمن الخير إفساح المجال أمامهم للاشتراك فى النوادى الرياضية والعلمية والاجتماعية والفنية ، بحيث تتهيأ لهم الفرصة لممارسة الألعاب الرياضية ، ولتذوق جمال الفنون المتنوعة ، ولتنظيم المشروعات الاجتماعية ، ولبحث الموضوعات الدينية والسياسية والاجتماعية والفلسفية على أساس من العلم الصحيح والمنطق السليم والاحترام المتبادل والرغبة المشتركة فى الوصول إلى الحق دون ضغط أو إرهاب .

فلا تفزعي ياسيدتى إذا وجدت إبنك الشاب أو إبنتك الشابة ، تناقش مسائل خطيرة ، وتشك فى أمور طالما سلمنا بها نحن الآباء والأمهات ، ويعتريها القلق بشأن سلوكها فى مواقف معينة . فإن صداقة الوالدين لهما ، وتوفير فرصة للنقاش العلمى

المنطق فى الأسرة والنوادى الثقافية ، وتمهد تفكيرهم المزدهر بالصقل والتوجيه فى الكلية عن طريق التخصص فى فرع من فروع العلم أو الأدب ، ثم ممارسة عمل قيم فى الهيئة الاجتماعية . كل هذه كفيلة بصوغ آرائهم ومثلهم العليا على أساس علمى اجتماعى سليم .

ومن مميزات الشاب والشابة فى هذا العهد ، إنهما يتعلقان بالشخصيات الممتازة فى أى ناحية من نواحى الحياة ، ويتحمسان لها وينسجان على منوالها . فيمكنك ياسيدتى أن تنظمى لأولادك فرصاً يتعرفون فيها على هذه الشخصيات العظيمة إما عن طريق المقابلة أو قراءة تاريخ حياتهم . والشخصية الأولى التى لها أعمق الأثر على شخصية الشباب هى شخصية الوالدين أنفسهم . وقد تكون شخصية الوالدين مثالا حياً لحب الإنسانية واحترام الأفراد والتعاون على مصلحة المجتمع ، وقد يقصر هذا المثال على الحياة المنزلية ، ولكن اشتراك الوالدين اشتراكا فعلياً فى الأعمال الاجتماعية التعاونية الشعبية أيضاً يؤثر أبلغ تأثير فى غرس حب الإنسانية فى نفسية الشباب . فى يديك أكثر

من هذا يا سيدتى . فى يديك توجيه الشباب من أبنائك وبناتك أن يبجلوا العلماء الذين يكرسون علمهم لمداواة علل البشر ، ويمجدوا الاجتماعيين الذين ينشئون المنظمات التى تعين كل فرد من أفراد الأمة على تنمية ما وهبه الله من مواهب . ويولعوا بالسياسيين الذين يعملون على ائتلاف الأجناس البشرية وتقوية الإيمان بقيمة الإنسان الذي خلقه الله فأبدى خلقه .

وهكذا يا سيدتى فى ختام هذه الأحاديث أعود فأقول : إن من تدرج من حب والديه إلى حب زملائه إلى حب مواطنيه والبشر أجمع ، تعاون ما فى وسعه لرقى الإنسانية . ومن نشأ على تبادل الاحترام بين أسرته وبين زملائه وبين مواطنيه احتلت قيمة الإنسان المكان الأول من اعتباره . فمن كان دافعه التعاون لرقى الإنسانية مع احترام شخصية الفرد ، فلقد حقق ما نسميه حب الخير وانتهج سبيل الله . ألم تكن هذه هى خطة الأنبياء والمرسلين ؟

أرأيت يا سيدتى كيف أن الحب الذى يزدهر بينك وبين طفلك هو أساس حب الإنسانية وحب الخير ؟ هو أساس التربية الدينية الحقة .